﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [المسد: 1 - 5]

❁ مُناسبةُ السّورةِ لما قبلَها:

ثـوابُ المُطيعِ النّصْرُ والثَّواب، وعُقوبةُ العاصي الـخَـسـارةُ والعَذاب

لمّا ذكرَ النّظمُ الكريمُ في سورة النصر ثوابَ الطّاعةِ والإيمانِ والدُّخولِ في الدّين، وهو حصولُ النّصْرِ والاستعلاء في الدُّنيا والثّوابِ العميمِ في الآخرة؛ ناسَبَ ذِكرُ عاقبةِ مَن لم يَقبلِ الدُّخولَ في الإسلامِ، بالخَسارِ في الدُّنيا والعِقاب في الآخرة[1].

وهذه السّورةُ مُكَمِّلَةٌ لما في سورة النّصر، فهناك ذَكَر عاقبةَ الإيمانِ والعملِ الصّالحِ، وهو الفتحُ والنّصرُ، وهنا ذَكَر عاقبةَ الكفرِ وعِداءِ النّبيّ ومَن معه. يقول الغرناطيّ: "هذه السّورة وإن نزلت على سببٍ خاصٍّ، وفي قصّة معلومة، فهي مع ما تقدَّمَها واتّصل بها، في قوّة أن لو قيل: قد انقضى عُمرُكَ يا محمّد، وانتهى ممّا قُلِّدتَه من عظيم أمانةِ الرّسالة أمرُكَ، وأدّيتَ ما تحمّلتَه وحان أجلُكَ، وأمارةُ ذلك دخولُ النّاس في دين الله أفواجًا، واستجابتُهم بعد تَلَكُّؤهم، والويل لمن عاندَكَ، وعدلَ عن متابعتك، وإن كان أقربَ النّاسِ إليك، فقد فصّلت سورةُ "قل يا أيُّها الكافرون" بين أوليائك وأعدائك، وبان بها حكمُ من اتّبعَكَ ومن عاداك، ولهذا سمّاها ﷺ (المُبرّئة من النّفاق)، ليَعْلَمَ كفّارُ قريشٍ وغيرُهم أنّه لا اعتصامَ لأحدٍ من النّار إلّا بالإيمان، وأنّ القراباتِ غيرُ نافعةٍ، ولا تجديه شيئًا إلّا مع الإيمان ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾"[2].

(1) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 10/ 2043.

(2) ابن الزُّبير الغرناطيّ، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 383، 384.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَبَّتْ﴾: (تبّ) كلمةٌ واحدةٌ وهي التّبابُ والخُسران، وتبًّا للكافِر: هَلاكًا له[1]، والتّبابُ: اسمٌ مِن تبّبَهُ، وتبَّتْ يدُهُ تَتِبُّ: خَسِرَتْ، كنايةٌ عنِ الهَلاك، وتبًّا لفلانٍ تَنصِبُهُ على المَصدرِ بإضمارِ فعلٍ[2]، وتبَّبَ واستَتَبَّ الطّريقُ: ذلَّ وانقادَ[3]، والتّحقيقُ: أنّ الأصلَ هو الخُسرانُ المُمتدُّ المُنتهي إلى الهَلاك، وبهذهِ المُناسبةِ قد تُطلَقُ على الخَسارِ والهَلاك. والمرادُ بـ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ في الآية: خَسِرتْ يداهُ خُسرانًا يسوقُهُ إلى الهلاكِ، وقد هلَكَ بما فعلَتْ يداهُ وما عَمِلَ مِن سوء[4].

2) ﴿سَيَصْلَىٰ﴾: (صلى) أصلانِ؛ أحدُهما: النّار، والآخرُ: جنسٌ منَ العِبادة؛ فأمّا الأوّلُ فقولُهُم: (صَلَيْتُ العودَ بالنّار)[5]، وصَلِيَ بالنّار (من بابِ تعِبَ): وجَدَ حرَّها، وصَلَيتُ اللّحمَ أُصليهِ (من باب رمى): شَوَيتُهُ[6]. والمرادُ بهِ في الآيةِ: دُخولُ النّارِ والاحتراقُ بنارِها.

3) ﴿لَهَبٍ﴾: (لهب) أصلٌ صحيحٌ، وهو ارتفاعُ لسانِ النّار، ثمَّ يُقاسُ عليه ما يُقارِبُهُ، من ذلك لهَبُ النّار، وكلُّ شيء ارتفعَ ضوؤُهُ ولمَعَ لَمَعانًا شديدًا فإنّه يقالُ ذلك فيه[7]، وكُنّي (أبو لهَب) لجمالِهِ، والتهبَتِ النّارُ وتلهّبتْ، أي: اتّقدَتْ، وألهبْتُها: أوقدتُها[8]، واللهب: الشِّعبُ الضّيّق في أعلى الجَبَل، والجمعُ ألهابٌ ولُهوب، ولهَبُ النّار ولَهيبُها[9]، فهو ظهورُ الهَيَجان وتجلّيهِ في أثَرِ شدَّةِ الغَلَيان، ومِن مصاديقِهِ: اشتعالٌ في النّار في أثَرِ شدَّةِ الحَرارة[10]. والمرادُ به في الآية: ارتفاعُ ألسنةِ النّارِ مِن شدّةِ الحَرارةِ والاشتِعال.

4) ﴿ٱلْحَطَبِ﴾: (حطب) أصلٌ واحدٌ وهو الوَقود، ثمّ يُحمَلُ عليهِ ما يُشبِّهُ به، فالحطَبُ معروفٌ، يقالُ: حَطَبتُ أحطِبُ حَطْبًا، وقالوا في ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ هي كنايةٌ عنِ النَّميمة[11]،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (تب).
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (تب).
(3) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (تب).
(4) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 1/ 332.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صلي).
(6) الفيّوميّ، المصباح المنير: (صلي).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لهب).
(8) الجوهريّ، الصّحاح: (لهب).
(9) ابن دريد، الاشتقاق: (لهب).
(10) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 10/ 225.
(11) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حطب).

وحَطَبتُ (من بابِ ضَرَب): جَمَعتُهُ. واسمُ الفاعلِ حاطِبٌ، وحَطَبَ بفلانٍ: سَعَى بهِ[1]، فهو ما يَتوقَّدُ، والحطَبُ اسمُ ذاتٍ، ثمَّ يُشتقُّ منه الفعلُ بالاشتقاقِ الانتزاعيِّ، فيقالُ: حطَب يَحْطِبُ، أي: هيّأ الحَطَبَ وجمَعَهُ، وأمّا حطَبَ بفلانٍ، أي: سَعَى بهِ، فهو مأخوذٌ من مفهومِ التّوقّدِ، فكأنَّ السّاعيَ بعمَلِهِ يوقِدُ نارَ الخُصومةِ، ومثلُهُ النَّميمة. والمراد به في الآية: ما يَتوقّدُ منَ الشَّوكِ والحَسَك وغيرهما[2].

5) ﴿جِيدِهَا﴾: (جيد) أصلٌ واحدٌ وهو العُنُق، يقالُ: جيْدٌ وأجياد[3]، ﴿فِي جِيدِهَا﴾ أي: في عُنُقِها، والتّعبيرُ بالجيد دونَ العُنُق والرّقبة؛ فإنَّ الجيد إطلاقُهُ في القُدّام منَ العُنُق، وهو ما فوقَ الصَّدرِ والجَيْب، والعُنُق ما يُقابِلُهُ وهو جهةُ الخَلْفِ أوْ أعمُّ، والرّقبة هي العنُقُ باعتبارِ الشّخصيّة[4]، وهو يَربِطُ جيدَها ويَشدُّها أشدَّ الرَّبط، بحيثُ لا تَقدِرُ أنْ تتوجَّهَ إلى ما هو خيرٌ وسَعادةٌ لها[5]. قالَ السُّهيليّ: الجيدُ إنّما يُستعمَلُ في مَقام المَدْح، والعُنُقُ في الذّمِّ، فتَقول: صَفَعْتُ عُنُقَه، ولا تَقول صَفَعتُ جيدَه، قالَ: وقَولُهُ تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا﴾ إنّما جاءَ على طَريق التَّهَكُّم والتّمليح، بجعْل الحَبْلِ كالعِقْد[6].

6) ﴿مَّسَدٍ﴾: (مسد) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على جَدْلِ شيءٍ وطَيِّهِ، والمَسَدُ: ليفٌ يُتّخَذُ من جَريدِ النَّخل، وحَبلٌ مِن أوبارِ الإبلِ، وامرأةٌ مَمْسودةٌ: مجدولةُ الخَلْقِ كالحَبلِ المَمْسود غيرُ مُسترخية[7]، ومَسَدتُ الحبلَ أمسُدُه مَسْدًا: أجَدْتُ فتلَهُ[8]، والمَسَدُ: حبلٌ من ليفٍ أوْ خوصٍ أوْ شعَرٍ أوْ وبَرٍ أوْ من أيِّ شيءٍ كان[9]، والمَسَدُ: اللّيف، وبه فُسِّر قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ في قَولٍ[10].

(1) الفيّوميّ، المصباح المنير: (حطب).
(2) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 2/ 227.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جيد).
(4) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 2/ 137.
(5) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 2/ 148.
(6) الزّبيديّ، تاج العروس: (جيد).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مسد).
(8) الجوهريّ، الصّحاح: (مسد).
(9) ابن منظور، لسان العرب: (مسد).
(10) الزّبيديّ، تاج العروس: (مسد).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

عاقِبةُ المُكذِّبين المؤْذين، التّبابُ والعَذابُ المُهين

والمعنى: خَسِرَ أبو لهَب وضلَّ عملُهُ، وبطَلَ سعيُهُ الَّذي كانَ يَسعاهُ للصّدِّ عن دينِ اللّه، ولم يُغنِ عنه مالُهُ الَّذي كان يَتباهَى به، ولا جِدُّه ولا اجتهادُهُ في ذلك، فإنَّ اللّه أعلى كلمةَ رسولِهِ ونشرَ دعوتَهُ، وأنّه سَيُعذِّب يومَ القيامةِ بنارٍ ذاتِ شرَرٍ ولهَبٍ وإحراقٍ شديدٍ، أعدَّها اللّه لمثلِهِ من الكُفّار المُعاندينَ فوقَ تعذيبِهِ في الدُّنيا بإبطالِ سعيِهِ ودَحْضِ عملِهِ، وستُعذِّبُ معَهُ امرأتُهُ الَّتي كانتْ تُعاونُهُ على كُفره وجَحْده، وكانت عضُدَه في مُشاكسةِ رَسولِ اللّه ﷺ وإيذائِهِ، وكانتْ تمشي بالنَّميمة للإفسادِ وإيقادِ نارِ الفتنةِ والعَداوة، وتضَعُ الشّوكَ في طريقِ الرَّسول ﷺ وأمامَ بيتِهِ، في عُنُقِها حَبْلٌ من نارٍ؛ جزاءً وفاقًا.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

براعةُ الاستهلالِ في الافتتاح:

مُناسبةُ الابتداء لمَقْصَدِ المَوضوعِ حتَّى الانتهاء

عبَّرَ النّظمُ الكريمُ ببراعةِ الاستهلال عندَ افتتاحِ السّورة بقولِهِ تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾؛ إذِ الفعلُ ﴿تَبَّتْ﴾ مُصرِّحٌ بأنَّ السّورةَ من قبيلِ الوَعيد والتَّهديد، وذلك يُهيِّئُ ذِهنَ المُخاطَب لمعرفةِ المَوضوع والمقصودِ منذُ الابتداء، قالَ ابنُ عاشور: "افْتِتاحُ السّورَةِ بـ(التّباب) مُشْعِرٌ بأنَّها نَزَلَتْ لِتَوْبيخٍ ووَعيدٍ، فذَلِكَ بَراعَةُ اسْتِهْلالٍ مِثْلَما تُفْتَتَحُ أشْعارُ الهِجاءِ بما يُؤْذِنُ بالذَّمِّ والشَّتْم، ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ [المطفّفين: 1]؛ إذِ افْتُتِحَتِ السّورَةُ المُشْتَمِلَةُ عَلَى وعيدِ المُطَفِّفينَ بلَفْظِ (الوَيْلِ)"[1].

دلالةُ فعلِ (التّبِّ) مادّةً وصيغةً:

شِـدّةُ التّخسيرِ استلزَمَتْ قـوَّةَ التّعبير

اختارَ النّظمُ الكريمُ فعلَ (التّباب) ماضيًا في قولِهِ تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾؛ للدّلالة على تحقُّقِ التّبِّ ووقوعِهِ تحقُّقًا مَقطوعًا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 601.

بحصولِهِ؛ لكونِهِ ماضيًا متحقِّقَ المَدلول، وذلك باعتبارِ أصلِ وضعِهِ؛ لأنَّه الآنَ دالٌّ على الدُّعاءِ والإنشاء، قال بعضُهُم: "والتّعبيرُ بالماضي في المَوضِعينِ لتحقُّقِ الوُقوع"[1]، كما دلّتْ صيغةُ المُضاعَف على الاستمرارِ والشّدَّة في ذلك الحَدَث المتحقِّقِ بكلِّ قوَّةٍ، كما يُشعرُ به صوتا (التّاء والباء) الشّديدان، وليَدُلَّ بمادّتِهِ على الخسارةِ الشَّديدة المستمرِّة المُؤدّية إلى الهَلاك.

الخسارةُ المَعنويَّة أعظَمُ تخسيرًا من الحقيقيَّةِ الحِسّيَّة

دلالةُ الاستعارةِ التّبعيَّة أو التّمثيليَّة في ﴿تَبَّتْ يَدَآ﴾:

استعارَ النّظمُ الكريمُ فعلَ (التَّباب) في قولِهِ تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾؛ للدّلالة على الهَلاك المَعنويّ بالخَسارة في الرِّبح والتِّجارة الحِسّيّين؛ إذ شبّه الهلاكَ المُتمثِّلَ بالموتِ بالخسارةِ في الأرباحِ والأموالِ بجامعِ الخَسارة والانمحاقِ في كلٍّ، ثمَّ حذفَ المُشبَّه وأبقَى المشبَّهَ به على سبيلِ الاستعارةِ التّصريحيَّة التّبعيَّة، وقرينةُ الاستعارةِ ذِكرُ (اليدَين) اللّتَين تُستعملانِ في إنجازِ الأعمالِ التّجاريَّةِ غالبًا، فتُحقِّقانِ لصاحبِها الرِّبحَ التّجاريَّ؛ فدعا بالهلاكِ والخَسارةِ لهُما، ولا يبعُدُ أنْ تكون الجملةُ الفعليّةُ مُستعارةً استعارةً تمثيليّة؛ بأنْ شبَّه إلقاءَ (أبي لهَب) الحِجارةَ على النّبيِّ ﷺ ظانًّا الرِّبحَ والانتصارَ بهيئةِ التّاجرِ الَّذي يَستعملُ يدَيهِ في التّعامُل التّجاريّ؛ وصولًا إلى الرِّبح، ثمَّ حذفَ المشبَّهَ وأبقَى المشبّهَ به، ولذا خصَّ ذِكرَ (اليدين) عندَ الدُّعاءِ بالهَلاك، قالَ بعضُهُم: إنّ أبا لهَبٍ مع تلفُّظِه بالتّبِّ: "أخذَ بيدِهِ حجَرًا ليَرميَ به رسولَ الله ﷺ، ومِن هذا يُعلَمُ وجهُ إيثارِ التّباب على الهَلاك ونحوِهِ ممّا تقدَّم؛ لإيغالِهِ في عَداوة رسولِ الله ﷺ، وإسنادِهِ إلى يدَيهِ"[2].

(1) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 10/ 2045.
(2) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 10/ 2045.

دلالةُ العُدولِ عن (خَسِرَتْ وهلَكَتْ) إلى ﴿تَبَّتْ﴾:

الخصوصُ والرِّدَّ سببانِ للعُدولِ عنـدَ شتْـمِ الخَصْمِ اللّدَد

عدلَ النّظمُ الكريمُ عن التّعبيرِ بفعلِ (التّباب) في قولِهِ تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ بلفظِ (الخُسرانِ والهَلاك)؛ بأنْ يقول: (خَسِرَتْ أوْ هلكَتْ يدا أبي لهَب)؛ لأنَّ التّبَّ أخصُّ منهُما؛ إذِ الخسارةُ والهَلاك يُستعملانِ للخَسارة الحِسّيَّة المُنقطعة، بخلافِ لفظِ (التّباب) الّذي هو عبارةٌ عن الاستمرارِ في الخُسران، وهو مُؤَدٍّ إلى الهلاكِ معنويًّا كان أو حِسّيًّا[1]، يقالُ: تبًّا لهُ وتبٌّ له وتَبًّتُه: إذا قلتُ له ذلك، ولتضمُّن الاستمرارِ قيلَ: استتَبَّ لفلانٍ كذا، أي: استمرَّ، و﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾، أي: استمرَّتْ في الخُسران"[2]، كما أنَّ أبا لهبٍ شتمَ النّبيَّ ﷺ بلفظِ (التّبّ)، فقد وردَ أنَّ "الرّسولَ ﷺ قال: «أرأيتَكُم لو أخبرتُكُم أنَّ خَيلًا بالوادي تريدُ أنْ تُغيرَ عليكُم أكنتُم مُصَدقيَّ؟»، قالوا: نعم؛ ما جرَّبنا عليكَ إلّا صِدقًا، فقال: «إنّي نذيرٌ لكم بينَ يدَي عَذابٍ شَديد»، فقال أبو لهَب: تَبًّا لك سائرَ الأيّام؛ ألهذا جَمَعتَنا؟ فنزلت"[3]، فعدلَ النّظمُ إلى الدِّفاع عن النّبيِّ الكريم ﷺ بمثلِ ذلك اللَّفظ جَزاءً وِفاقًا[4].

دلالةُ الكِنايةِ أوِ المَجازِ المُرسَلِ في (اليدَين):

تخصيصُ اليدَينِ بالخُسران لِما اقترفَ بهما منَ العُدوان

عبّرَ النّظمُ الكريمُ بلفظِ (اليدَين) في قولِهِ تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾؛ للتّكنيةِ بهما عنِ (النّفس) كلِّها؛ لما بينَهُما من اللُّزوم في الجُملة[5]، أوْ بطريقِ المَجازِ المُرسَلِ من قبيلِ ذِكرِ الجُزءِ وإرادةِ الكلِّ؛ وإنّما خصَّهُما بالتّكنيةِ أوْ بالتّجوُّز؛ لأنَّ أكثرَ الأفعالِ تُزاوَلُ بهما[6]. قالَ البيضاويّ: "إنَّما خُصّتا؛ لأنَّه ﷺ لمّا نزلَ عليه: ﴿وَأَنذِرْ

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 20/ 481.
(2) الطيبي، فتوح الغيب: 16/ 622.
(3) أخرجه البخاريّ في صحيحه، برقم: (4687)، ومسلم في صحيحه، برقم: (355).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 601.
(5) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 20/ 481.
(6) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 10/ 2045.

عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ [الشّعراء: 214] جمعَ أقاربَهُ فأنذَرَهم؛ فقال أبو لهَب: تبًّا لكَ ألهذا دعوتَنا؟ وأخذَ حجَرًا ليَرميَهُ به؛ فنزلَتْ"[1]، وصحَّح القونويّ إرادةَ المَجاز بقوله: "فذِكرُ (اليدين) لِرَميهِ وقصدِ رَميهِ بهما، وهذا هوَ المُصحِّحُ للمَجاز؛ لأنَّ الرّميَ لا يكونُ بدونِ (يد)؛ فيكونُ مثلَ إطلاقِ (العين) عَلَى (الرّقيب)؛ فإنَّ إطلاقَ العين عَلَى الرَّقيب ليس من حيثُ إنَّه إنسانٌ بل مِن حيثُ إنَّه رقيب، وهذا المَعْنَى لا يتحقّقُ بدونِ (العين)؛ كَذَلكَ إطلاقُ (اليد) عَلَى مَن قصدَ الرّميَ ليس من حيثُ إنَّه إنسانٌ، بل من حيثُ إنَّه رامٍ وقاصِدٌ الرّميَ، والرّميُ لا يتحقّقُ بدونِ اليدِ؛ فصَحَّ المَجازُ بلا رَيب"[2].

نُكْتَةُ إسنادِ فِعْلِ (التَّباب) إلى (اليدَين):

ما كانَ سببَ الإيذاءِ استحقَّ الدُّعاء

أسندَ النّظمُ الكريمُ فعلَ (التّباب) إلى اليدَين في قولِهِ تعالى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾؛ للدّلالة على أنَّ يدَيهِ اللّتَين كانتا تُؤذيانِ النّبيَّ ﷺ هما السّببُ في لحوقِ الدُّعاءِ بالهلاكِ عليه[3].

دلالةُ الإضافةِ في ﴿يَدَآ أَبِي﴾:

تحقيرُ المَنسوبِ لحَقارةِ الجهنّميِّ المَلهوب

أضافَ النّظمُ الكريمُ (اليدَين) إلى (أبي لَهَب) في قولِهِ تعالى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾؛ للدّلالة على التّعيينِ والتّخصيص؛ لأنَّ إضافةَ النّكرةِ إلى المعرفة تفيدُ المُضافَ تَعيينًا، والغرضُ من الإضافةِ إلى مَن استحقَّ أنْ يكونَ في جهنَّم التّحقيرُ والتّشنيع؛ إذ كلُّ مَن يُنسَبُ إليه يكونُ غيرَ ذي بالٍ.

دلالةُ الإضافةِ في ﴿أَبِي لَهَبٖ﴾:

مِن شدَّةِ اللهب والإصلاء استولَى على النّارِ استيلاءَ الأبِ على الأبناء

أضافَ النّظمُ الكريمُ لفظَ (الأب) إلى (لهَب) في قولِهِ تعالى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾؛ للدّلالة - باعتبارِ حالٍ قبلَ العلَميّة واللّقبيَّة

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 345.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 20/ 482.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 601.

- على أنَّه صاحبُ اللهب، والمنسوبُ إليه بالأُبوَّة الدّالَّة على أنَّه المُستولي والمالكُ له. قال ابنُ عاشور: "والأبُ: يُطْلَقُ عَلَى مُلازِمِ ما أُضيفَ إلَيْهِ، كَقَوْلِهِمْ: (أبوها وكَيّالُها)، وكَما كُنّيَ إبْراهيمُ عليه السلام: أبا الضّيفانِ"[1]. فأبو لهَب المُلازِمُ للنّار، المالِكُ للهب والنّارِ، المُحترِقُ احتراقَ الصّاحبِ المُستولي بكُلِّه عليه، وأمّا بعدَ العلَميّة والتّلقيب فإنَّ المُرادَ به الشّخصُ المسمَّى بذلك الاسمِ، معَ ما توحيهِ الإضافةُ قبلَ العلَميَّة من تقبيحٍ وتشويهٍ، وتَهكُّمٍ واستخفافٍ ووعيدٍ عظيم[2].

نُكْتَةُ العُدولِ عن العلَمِ إلى اللّقَب:

موافقةُ كُنيتِهِ في الجاهليَّة لمَصيرِهِ في الدّارِ الأُخرَويّة

عدلَ النّظمُ الكريمُ عن ذكرِ الاسمِ العلَم (عبد العزَّى) لعمِّ النّبيِّ ﷺ إلى اللّقبِ المُشتهرِ بهِ في الجاهليَّة (أبي لهَب)، في قولِهِ تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾؛ إمّا لأنَّ في اسمِهِ عبادةَ العُزّى، "وَذَلِكَ لا يُقِرُّهُ القُرْآنُ، أوْ لِأنَّهُ كانَ بِكُنْيَتِهِ أشْهَرَ مِنْهُ باسْمِهِ العَلَم، أوْ لِأنَّ في كُنْيَتِهِ ما يَتَأتَّى بِهِ التَّوْجيهُ بِكَوْنِهِ صائِرًا إلَى النّارِ، وذَلِكَ كِنايَةٌ عَنْ كَوْنِهِ جَهَنَّميًّا؛ لِأنَّ اللهبَ ألْسِنَةُ النّارِ إذا اشْتَعَلَتْ وزالَ عَنْها الدُّخانُ، فكانَتْ كُنْيَةُ أبي لَهَبٍ صالِحَةً موافِقَةً لِحالِهِ مِن اسْتِحْقاقِهِ لَهَبَ جَهَنَّمَ، فصارَ هَذا التَّوْجيهُ كِنايَةً عَنْ كَوْنِهِ جَهَنَّميًّا؛ لِيَنْتَقِلَ مِنْ جَعْلِ (أبي لَهَبٍ) بِمَعْنَى مُلازِمِ اللهبِ، إلَى لازِمِ تِلْكَ المُلازَمَةِ في العرف، وهوَ أنه مِنْ أهْلِ جَهَنَّمَ، وهوَ لُزومٌ ادِّعائيٌّ مَبْنيٌّ عَلَى التَّفاؤُلِ بالأسْماءِ ونَحْوِها"[3]، أو: "أوثرت الكنيةُ لاشتهارِه بها واختصاصِها به، حتّى إنَّه لو سُمّي لالتبس"[4]، أو: "لأنَّ الاسمَ أشرفُ منَ الكُنية، فعدلَ إلى الأنقَص، ولذلك ذَكرَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 602.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 350.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 602.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 16/ 626.

اللّه تعالى الأنبياءَ عليهم الصَّلاةُ والسَّلام باسمائِهِم، ولم يُكَنِّ أحدًا منهم"[1].

نُكْتَةُ التّلقيبِ أوِ الكُنيةِ بـ﴿أَبِي لَهَبٍ﴾:

اللّقبيَّة أرجَحُ من الكُنيةِ التّكريميَّة

عبّرَ النّظمُ الكريمُ باللَّفظ المَبدوءِ بالأبِ في قولِهِ تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾؛ للدّلالةِ على اللَّقب دونَ الكُنية، معَ أنّ الكُنيةَ ما بُدِئَ بأبٍ أوْ أمٍّ؛ لأنَّ الكُنيةَ تكرمةٌ للمُكنَّى بخلافِ اللّقب الّذي قد يكونُ من بابِ الرِّفعة أوِ الضَّعة، ولذا قرّرَ القونويّ: "أنَّ التّكرمةَ ليستْ بمُرادةٍ هنا، هذا بناءً عَلَى الأغلب؛ إذِ العادةُ إذا أُريدَ التّعظيمُ أنْ يُخاطَبَ بكُنيتِهِ أوْ لَقبِهِ، لكن المُرادَ بالكُنيةِ هنا اللّقب، وإنْ كان مصدَّرًا بالأبِ؛ لإضافَتِهِ إلَى غيرِ ذوي العُقول"[2].

تنوُّعُ القِراءاتِ في ﴿لَهَبٍ﴾:

توالي الحَرَكاتِ يُشيرُ لتَطايُرِ اللهبات

"قَرَأَ الجُمْهورُ لَفظَ ﴿لَهَبٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ بفَتْحِ الهاءِ، وقَرَأَهُ ابْنُ كَثيرٍ بسُكونِ الهاءِ: ﴿لَهْبٍ﴾ وهوَ لُغَةٌ؛ لِأنَّهُمْ كَثيرًا ما يُسَكِّنونَ عَيْنَ الكَلِمَةِ المُتَحَرِّكَةِ مَعَ الفاءِ، وقَدْ يَكونُ ذَلِكَ لِأنَّ لَهَبٍ صارَ جُزْءَ عَلَمٍ، والعَرَبُ قَدْ يُغَيِّرونَ بَعْضَ حَرَكاتِ الاسْمِ إذا نَقَلوهُ إلَى العَلَميَّةِ"[3]، كما أنَّ الفتحَ يشيرُ إلى حالةِ التّأجُّجِ للنّار بتوالي الحَرَكات، بخلافِ الإسكانِ المُشيرِ إلى لَهَبٍ ثابتٍ ودائمٍ.

دلالةُ (الكناية) في الجملةِ الفعليَّة ﴿تَبَّتْ يَدَآ﴾:

مِن شدَّةِ الكَراهة دُعاءُ المَوْلى عليهِ بالخَسارة

عبّرَ النّظمُ الكريمُ بالجُملةِ الفعليَّة الماضويَّة في قولِهِ تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾؛ إمّا للدّلالة على الدُّعاء عليهِ بالهَلاك والخُسران، لكنَّ اللّه تعالى لا يدعو بذلك، إذ لا يليقُ به تعالى الدُّعاء بالهلاكِ أوْ بالخيرِ والنَّجاة لأحدٍ؛ ولذا كانَ التّركيبُ كنايةً عن وقوعِ

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 419.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 20/ 482.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 602.

الهَلاك والخُسرانِ له، فالتّركيبُ مُستعمَلٌ باعتبارِ لازمِهِ، وأنَّه من شدَّةِ الكَراهة لفعلِهِ عبّرَ النّظمُ عن دُعاء المَوْلى عليه؛ فالجملةُ دُعائيّةٌ باعتبارِ لفظِها وإنْ كان مدلولُها اللّازميّ إخبارًا أزليًّا عن عظيمِ الخَسارةِ المتحقّقة، قال الهرريّ: "والمرادُ هنا بيانُ استحقاقِهِ لأن يُدعَى عليه بالهلاك؛ فإنَّ حقيقةَ الدُّعاء شأنُ العاجزِ، واللّه منزّهٌ عن ذلك"[1]، وإمّا للإخبارِ بتبابِ ذاتِهِ وخَسارةِ أمرِ عاقبتِهِ، وغرضُهُ الاحتقارُ والذّمُّ.

دلالةُ (الواو)، والغرضُ مِنها:

التّوكيدُ والإخبار مُحقّقان مَزيدًا منَ الاحتقار

عبّر النّظمُ الكريمُ بـ(الواو) في ﴿وَتَبَّ﴾ من قولِهِ تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾؛ للدّلالة بها إمّا على العطفِ إنْ كان مدخولُها دُعائيًّا، فيكونُ من عطفِ الإنشاء على الإنشاءِ الدّالِّ على التّوكيد، وإمّا على الحالِ إنْ كان مدخولُها إخباريًّا وما قبلها إخبار، فيكون الحالُ جائيًا من المُخبَرِ عنهُ بالتّباب، قال ابنُ عاشور: "وَجُمْلَةُ ﴿وَتَبَّ﴾ إمّا مَعْطوفَةٌ عَلَى جُمْلَةِ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ عَطْفَ الدُّعاءِ عَلَى الدُّعاءِ؛ إذا كانَ إسْنادُ التّباب إلَى اليَدَيْنِ؛ لأنَّهُما آلَةُ الأذَى بالرَّمْيِ بالحِجارَةِ، فأُعيدَ الدُّعاءُ عَلَى جَميعِهِ إغْلاظًا لَهُ في الشّتمِ والتّقريع، وتُفيدُ بذَلِكَ تَأْكيدًا لجُمْلَةِ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ لأنَّها بمَعْناها، وإنَّما اختلفتا بالكُلّيَّةِ والجُزْئيَّةِ، وذَلِكَ الاخْتِلافُ هوَ مُقْتَضي عَطْفِها، وإمّا أنْ تَكونَ في مَوْضِعِ الحالِ، و(الواوُ) واوُ الحالِ، ولا تَكونُ دُعاءً إنَّما هيَ تَحْقيقٌ لِحُصولِ ما دُعيَ عَلَيْهِ بهِ، فيَكونُ الكَلامُ قَبْلَهُ مُسْتَعْمَلًا في الذَّمِّ والشَّماتَةِ بهِ أوْ لِطَلَبِ الازْدِيادِ، ويُؤَيِّدُ هَذا الوَجْهَ قِراءَةُ عَبْدِ اللّه بْنِ مَسْعودٍ: (وَقَدْ تَبَّ)، فيَتَمَحَّضُ الكَلامُ قَبْلَهُ لِمَعْنَى الذَّمِّ والتَّحْقيرِ، دونَ مَعْنَى طَلَبِ حُصولِ التَّبابِ لَهُ"[2].

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 418.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 603.

نُكْتَةُ التّعبيرِ بالماضي ﴿وَتَبَّ﴾:

العُـدولُ عـن المُستقبَل مُحقِّقٌ للكلامِ المُعظَّم

عبّرَ النّظمُ الكريمُ بفعلِ (التّباب) الثّاني ماضيًا في قولِهِ تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾؛ للدّلالةِ على أنَّ ذلك التّبَّ واقِعٌ في أزمنةِ الاستقبالِ لا مَحالة؛ فيكونُ مَجازًا مُتمثِّلًا بالعدولِ عن الحالِ والاستقبالِ إلى التّعبيرِ بالماضي؛ إيذانًا بتحقُّقِ وقوعِهِ[1]، وهذا مبنيٌّ على أنَّ المرادَ بـ(التّبّ) الثّاني الإخبارُ دونَ الدُّعاء.

دلالةُ الجمعِ بينَ فِعلَي (التَّباب):

مِـن مُسوِّغاتِ العَطف للتَّوكيد الاخـتـلافُ في كَلامِ الوَعيد

جمعَ النّظمُ الكريمُ بينَ فِعلَي (التّباب) في قولِهِ تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾؛ للدّلالةِ على التّوكيدِ للخَسارة والهَلاك، وهو مِن مقاصد الكلامِ وأغراضِه المُهمَّة، فلا يحتاجُ إلى عطفٍ حينَئذٍ كما هو الأصلُ في (التّوكيد اللّفظيّ)، ومِن ثمَّ اختلفَ المُفسِّرونَ في تحديدِ المُغايرةِ لتكونَ سببًا لإيراد (الواو) العاطفةِ بينَ المُؤكِّدِ والمُؤكَّد على أقوالٍ، هي:

الأول: فعلُ (التّبابِ) الأوّل دعاءٌ عليهِ، وفعلُ (التّبابِ) الثّاني إخبارٌ، فكأنَّه قال: أهلكَهُ اللهُ ﷻ وقد أُهلِكَ فِعلًا[2]. قال القونويّ: "وضميرُ ﴿وَتَبَّ﴾ راجع إلَى ﴿أَبِي لَهَبٍ﴾؛ فإذا كان المُرادُ بـ(اليد): نفسَه، يكونُ تأكيدًا، والعطفُ لا يُلائمُهُ، وبيّنَ [البيضاويُّ] أنَّه ليس بتأكيدٍ؛ لأنَّ المُراد بالأوّلِ دعاءٌ عليه بالهلاك، والثّاني إخبارٌ عَمّا يستحِقُّ لهُ في الآخرَة، والماضي لتحقُّقِ وقوعِهِ، أوْ في الدُّنْيا والآخرَة، لكنْ يلزمُ عطفُ الإخْبارِ عَلَى الإنشاءِ، ولذا قيل: والظّاهر أنَّ هذه الجُمْلَة حاليّةٌ و(قد) مقدّرةٌ"[3]، و(الواوُ) على هذا التّرجيحِ للحالِ أوْ للاستئنافِ.

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 16/ 622.
(2) الواحدي، التفسير البسيط: 24/ 409.
(3) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 20/ 483.

الثاني: كِلا فعلَي التّبابِ إخبارٌ، أرادَ بالأوّلِ هلاكَ عمَلِه، وبالثّاني هلاكَ نفسِه؛ فالاختلافُ بالكليَّة والجُزئيّة.

الثالث: كلا فِعلَي التّبابِ دعاءٌ عليه، ويكون في هذا شبهُ مَجيءِ العامِّ بعدَ الخاصّ، وإنْ كانتْ حقيقةُ (اليدين) غيرَ مُرادة[1]، والواوُ عاطفةٌ حينَئذٍ على الرّأيين المُتقدِّمين.

الرابع: يَجوزُ أنْ يرادَ بالأوّلِ هلاكُ عملِه، وبالثّاني هلاكُ نفسِه، ووجهُهُ: أنّ المرءَ إنّما يسعَى لمصلحةِ نفسِه وعملِه، فأخبرَ اللّه تعالى أنَّه محرومٌ من الأمرين، والنّظمُ يُساعدُهُ، لأنَّ ما بعدَه بيانٌ وتفسير؛ فإنّ قولَه: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ إشارةٌ إلى هَلاكِ عَمَلِه، وقولَه: ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾ إشارةٌ إلى هلاكِ نفسِه[2]، والواوُ عاطفةٌ عطفَ الخبرِ على الخبَر.

نُكْتَةُ الفَصلِ في جُملةِ ﴿مَآ أَغۡنَىٰ﴾:

الانتقالُ من الدُّعاءِ بالخَسارة إلى عدمِ غُنيةِ المالِ والتِّجارة

فصلَ النّظمُ الكريمُ قولَهُ تعالى: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾؛ لكونِه مُستأنَفًا استئنافًا ابتدائيًّا، والغرضُ الانتقالُ: "مِنْ إنْشاءِ الشَّتْم والتَّوْبيخ، إلَى الإعْلام بأنَّهُ آيِسٌ مِنَ النَّجاةِ مِنْ هذا التَّبات، ولا يُغْنيه مالُهُ ولا كَسْبُهُ، أي: لا يُغْني عَنْهُ ذَلكَ في دَفْعِ شَيْءٍ عَنْهُ في الآخِرَةِ"[3]، ويحتملُ أنْ يكونَ تأكيدًا لما قبلَهُ؛ بناءً على أنَّ الكلامين إخبارٌ عن لحوقِ خسارةٍ به، وأنَّ هذه الخسارةَ غيرُ قابلةٍ لأنْ يُغنيَ عنها شيءٌ من أموالِه ومدَّخراتِه.

دلالةُ ﴿مَآ﴾ والغرضُ منها:

عاقبةُ المُعتدين عدمُ الانتفاعِ بالمالِ والبَنين

استعملَ النّظمُ الكريمُ ﴿مَآ﴾ في قولِه تعالى: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾؛ للدّلالة بها إمّا على النّفي وهو الأرجحُ[4]، والتّقدير:

(1) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 11/ 141.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 16/ 622.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 604.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 604.

(لم يُغنِ عنهُ مالُهُ ولا كَسْبُه)[1]، والغرضُ منَ النّفي الإخبارُ بأنَّ مَن حقّق اللّه خسارتَهُ وهلاكَهُ وانمحاءَهُ فلا يُغني عنه شيءٌ منَ اللّه تعالى، ولا ينفعُهُ في الدّنيا ولا في الآخرة.

وإمّا للدّلالةِ بها على الاستفهام المُفيد للتّوبيخ والإنكار، "على أنَّها مَفعولٌ مُطلقٌ"[2]، والتّقدير: (أيَّ شيءٍ وأيَّ غَناءٍ يُغني عنه مالُهُ وكسبهُ)؛ فيَؤولُ إلى مَعنى النّفي. قال الهرريّ: "أي: لم يُغنِ عنهُ مالُهُ حينَ حلَّ بهِ التّبابُ، ولم يَنفعْهُ أصلًا، على أنَّ ﴿مَآ﴾ نافية، أوْ (أيَّ شيءٍ أغنى عنهُ؟) على أنَّها استفهاميّةٌ في معنى الإنكارِ، منصوبةٌ بما بعدَها على أنَّها مفعولٌ به، أوْ (أيَّ إغناءٍ أغنَى عنه؟) على أنَّها مفعولٌ مُطلَقٌ"[3]، وفائدةُ التّعبير عن النّفي بطريقِ الاستفهام الدّلالةُ على التّوبيخ والاستغرابِ من عاقبةِ ذلك الخاسِرِ الشّنيعةِ.

دلالةُ فعلِ (الإغناء) مادّةً وصيغةً:

عبّرَ النّظمُ الكريمُ بفعلِ (الإغناء) ماضيًا في قولِهِ تعالى: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾؛ للدّلالةِ على تحقُّقِ وقوعِ عدمِ الإغناء[4]، وأنَّ ذلك أمرٌ مقطوعٌ بحصولِهِ وتحقُّقِه، واختارَ صيغةَ (الإفعال) للدّلالة على التَّعدية؛ أي: لم يجعلِ المالُ ولا الكسبُ أبا لهبٍ غنيًّا عن التّباب الَّذي يَلحقُهُ، بحيثُ يُنجيهِ مالُهُ وكسبُهُ عمّا يَحيقُ به من تخسيرٍ واستئصالٍ، وللدّلالة بمادّتِهِ على أنَّ المال والمكاسِبَ لا تنفَعُ صاحبَها، ولا تدفَعُ عنه سيّئاتِ ما يَعمَلُ، فلا تَسُدُّ مَسدَّهُ، ولا تقومُ مَقامَهُ.

الأموالُ والمَكاسب لا تُغني عنِ الهَالكِ والمتَاعِب

دلالةُ (عَن) والغرَضُ مِنها:

عبّرَ النّظمُ الكريمُ بحرفِ الجرِّ (عَن) في قولِهِ تعالى: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ﴾؛ للدّلالة على المُجاوَزة، إذِ المالُ يتجاوَزُ صاحِبَهُ

لا يُغني المال، في التّخلّصِ مِن عقابِ المآل

(1) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 10/ 2046.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 16/ 626.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 422.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 604.

عندَ الاشتراءِ، فيُعطى من أجلِ الحُصول على الشَّيء، والشّيءُ هنا العذابُ، فلا يُغني تقديمُ المالِ لاشتراءِ العذابِ النّازلِ به؛ إذ هذا النّوعُ من البضاعةِ لا يُباعُ أصلًا حتَّى يُقدّمَ المالُ لاشترائِهِ والتّخلُّصِ من ضَرَرِه؛ فالمالُ يُستعمَلُ إمّا لتحصيلِ منحةٍ، أوْ لدفعِ محنةٍ، فأخبرَ النّظمُ الكريمُ أنَّ مالَهُ عاجزٌ عن تخليصِهِ من ذلك الهَلاكِ المَوْعودِ.

نُكْتَةُ تقديمِ الجارِّ والمجرور ﴿عَنْهُ﴾:

إظهارُ الاهتمام، بالمَصيرِ والعاقبةِ الزُّؤام

قدّمَ النّظمُ الكريمُ مُتعلَّقَ الفعلِ منَ الجارِّ والمجرور على الفاعلِ في قولِهِ تعالى: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ﴾؛ للدّلالة على الاهتمامِ بحالِ المُعاقَبِ النَّكِد؛ لأنَّه الَّذي سيق الكلامُ لأجله، فيكون الإخبارُ عنه مُتقدِّمًا، ولأنَّ الغَرضَ بيانُ عدمِ وجودِ ما يَسُدُّ مسدَّه، أوْ يَنصرُهُ من عذابِ اللّه تعالى، وما ذِكْرُ المالِ والكَسْبِ إلّا للتّمثيل، وإلّا فلا ينفَعُهُ أيُّ شيءٍ من جاهٍ أوْ مالٍ أوْ ولدٍ أوْ نفوذٍ.

نُكْتَةُ الإضافةِ في ﴿مَالُهُۥ﴾:

المالُ المَنسوب لا يُغني عنِ التَّهديدِ المَوعود

أضافَ النّظمُ الكريمُ لفظَ (المال) إلى ضَميرِ الغَيبة العائدِ إلى (أبي لهَب) في قولِهِ تعالى: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ﴾؛ للدّلالة على التّعيينِ والتّعريف؛ إذ يَكتسِبُ المُضافُ منَ المضافِ إليه المعرفةِ التّعيُّنَ والتّشخُّصَ، والغرضُ منَ الإضافة بيانُ كمالِ عدمِ الإغناءِ، فهذا المالُ المنسوبُ إليه تملُّكًا واختصاصًا لا ينفعُهُ في الإنجاءِ والإغناء، فكيف بمالِ غيرِهِ؟ وإضافةُ المالِ اسمَ جنسٍ إليهِ دالٌّ على عدمِ نفعِ أيِّ نوعٍ من أنواعِ تلك الأموالِ، من إبلٍ أوْ نخيلٍ أوْ غَيرِهما؛ إذِ "المالُ: المُمْتَلَكاتُ المُتموَّلة، وغلَبَ عِنْد العَرَبِ إطْلاقُهُ عَلَى الإبِلِ، وأَهْلُ المَدينَةِ وخَيْبَرَ والبَحْرَيْنِ يَغْلِبُ عِنْدَهُمْ عَلَى النَّخيلِ"[1]؛ فالإضافةُ للاستغراقِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 604.

دلالةُ (الواو) في ﴿وَمَا﴾ والغرض منها:

التّيئيسُ والإقناط مِن نَفْعِ المالِ المجموع

عبّرَ النّظمُ الكريمُ بـ(الواو) في قولِه تعالى: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾؛ للدّلالة على الجمعِ والاقتران بينَ الكسبِ أوِ الَّذي يَكسِبهُ والمالِ الَّذي يَجمعُهُ، والغرضُ من العطفِ التّيئيسُ والإقناط في نفعِ شيءٍ منَ المال المجموعِ والكسبِ الَّذي يأتي من ذلك المالِ المَجموع.

دلالةُ فعلِ (الكَسْبِ) مادّةً وصيغةً:

كَسْبُ الأموالِ، قادَهُ إلى الخَسارةِ والوَبال

عبّرَ النّظمُ الكريمُ بفعلِ (الكَسْب) ماضيًا في قولِه تعالى: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾؛ للدّلالةِ على تحقُّقِ كسبِه للأموالِ والأرباح، لكنَّها لم تُغنِ عنهُ مِن عقاب اللّه شيئًا، وليَدُلَّ بمادّتِه على انهماكِه في العملِ من أجلِ زيادةِ مالِه وأرباحه، وأنَّ تلك الأموالَ المكسوبةَ والمجموعةَ قادَتْهُ إلى الغُرورِ فالهلاكِ والخُسران.

سرُّ التّغاير في التّعبير عن المال والكسب:

المالُ والكَسب لم يُغنيا عنِ التبّ

غايرَ النّظمُ الكريمُ في التّعبيرِ عنِ المالِ والمَكسوب في قولِه تعالى: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾؛ إذ عبَّر عن الأوّلِ باسمِ الجنسِ الدّالِّ على الذّاتِ المضافِ إضافةً تملُّكيَّة، وعبَّر عن الثّاني بالاسمِ الموصولِ المُفتقِرِ إلى صلتِه الفعليَّة الدّالِّ على الذّاتِ الحاصلة بحَدَثِ الكَسْب؛ للدّلالة على أنَّ المالَ الّذي يمتلكُهُ ينقسِمُ على قسمين: مالٌ غيرُ مكسوبٍ لكنّهُ ملكَهُ، ومالٌ ملكَهُ بطريقِ الكسْبِ، وتولَّد بالعملِ والسَّعي في تحصيلِه.

تناسُبُ الخُصوصِ والعُمومِ في الآيتين:

التّوافُقُ في التّركيب، دالٌّ على الإعجازِ لكلِّ عقلٍ أريب

عبّرَ النّظم الكريمُ بأسلوبِ الخصوصِ ثمَّ العمومِ في قولِه تعالى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾؛ إذ انتقلَ في الآيةِ الأولى من تبِّ اليدَينِ إلى تبِّ أبي لهَبٍ كلِّه، وانتقل في الثّانيةِ من عدمِ إغناءِ المالِ إلى عدمِ إغناءِ كلِّ المَكسوبِ مالًا أوْ غيرَ مالٍ، فيكونُ هنالك توافُقٌ في الانتقال من الخصوصِ إلى العموم،

وأنَّ المالَ المكسوبَ يحصلُ باليدينِ غالبًا، وأمّا الكسبُ الشّاملُ للمالِ وغيرِهِ؛ فيحصُلُ بالنّفسِ كُلِّها كتناسُلِ الماشية.

سرُّ الفصل في ﴿سَيَصْلَىٰ﴾:

جَـذبُ انـتبـاهِ الـسّـامـعـين، وتـحـقـيـقُ التّشويقِ لدَى المُخاطَبين

فصلَ النّظمُ الكريمُ قولَهُ تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ عمّا قبلهُ؛ لكونِهِ مستأنَفًا استئنافًا بيانيًّا[1]؛ إذ نشأ من جملةِ النّفي لإغناءِ المالِ والمكسوبِ عن أبي لهب سؤالٌ مُفادُهُ: وماذا يحصلُ لهُ إنْ لم يُغنِ عنهُ المالُ؟ فأجابَ بأنَّه سيصلى نارًا، والغرضُ من كون التّركيبِ جوابًا عمّا يَجولُ في الذّهن توليدُ حالةٍ من التّفاعل بينَ مكوِّناتِ النّظم، بحيثُ يتوقّفُ السّابقُ على اللّاحق تشويقًا للإصغاءِ، وجَلْبًا للانتباهِ.

دلالةُ (السّين) والغرضُ مِنها:

تحقيقُ الوَعيد، دالٌّ عـلى مَـزيدٍ منَ التّهديد

عبّرَ النّظم الكريمُ بـ(السّين) في قولِهِ تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾؛ للدّلالة على الاستقبالِ معَ التّأكيدِ لتحقُّقِ الوُقوع، إذِ المستقبلُ أمرٌ غيرُ متيقّنِ الوُقوع، فكانت السّينُ مؤكِّدةً لذلك الوعيد، وأنّه كائنٌ لا مَحالةَ فيه بدلالةِ المقام، أي: "سَيَدخلُ النّارَ لا محالةَ في الآخرة، ويُقاسي حرَّها، و(السّينُ) لتأكيدِ الوعيد"[2]، قال ابنُ عاشور: "وَ(السّينُ) لِلتَّحْقيقِ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسُف: 98]"[3].

دلالةُ فعلِ (الصَّلْي) مادّةً وصيغةً:

الإصلاءُ بالنّار، لـفـزعِ ظُـلـمِـهِ سيِّدَ الأبرار

عبّرَ النّظم الكريمُ بفعلِ (الصّلْي) مُضارِعًا في قولِهِ تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾؛ للدّلالة على التّجدُّدِ الاستمراريِّ لحالةِ الصَّلْي والحَرقِ في النّار، فيكون إخبارًا عن تجدُّدِ ذلك واستمرارِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 605.
(2) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 10/ 2046.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 605.

العذابِ النّازلِ به، وما ذلك إلّا لاستمرارِهِ في إيذاءِ النّبيِّ الكريم ﷺ، فإنْ كانتِ (السّينُ) لمُجرّدِ التّأكيد فإنَّ التّعبير عن المُستقبلِ بالفعلِ الدّالِّ على الحالِ؛ لاستحضارِ الحالةِ المستقبلةِ كأنَّها تقعُ الآن[1]؛ تصويرًا لفضاعةِ لفظاعةِ ذلك الاحتراقِ وتشنيعًا بحاله، وليَدُلَّ بمادّتِه على الشّوْيِ والحَرْق والتّعريضِ للنّار حتّى الإنضاجِ للّحم[2].

نُكْتَةُ الطِّباقِ بينَ ﴿أَبِي لَهَبٍ﴾ و﴿سَيَصْلَىٰ﴾:

جمالُ الوَجْهِ والإضاءَةُ يَنقلِبُ اسوِدادًا بالصَّلايَة

عبّرَ النّظم الكريمُ بأسلوبِ (الطّباق) في قولِه تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ وقولِه: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾؛ إذِ الصَّلْيُ احتراقٌ واسوداد، وهو أبو اللهب وصاحبُ النّارِ، وبينَ النّار والاحتراقِ طباقٌ؛ إذِ النّارُ تدلُّ على الإضاءةِ، والصَّلْيُ يدلُّ على السَّواد اللّازمِ للاحتراقِ، فيكونُ هنالك تقابلٌ بين كونِه أبا لهبٍ، وكونِه أسودَ من الصّلْي، وتتحقّقُ المطابقةُ بشكلٍ أكبرَ إن مضَينا على رأيٍ مُفادُهُ: أنَّ (أبا لهب) لقبُهُ في الجاهليَّة من شدّةِ إشراقِه وإضاءَةِ وجهِه، فينقلبُ في النّارِ أسودَ مُحترقًا، قالَ الزّمخشريّ: "وقيلَ كُنّي بذلك؛ لتلهُّبِ وجنتَيه وإشراقِهما، فيجوزُ أنْ يُذكَرَ بذلك تهكُّمًا به وبافتخارِهِ بذلك"[3].

نُكْتَةُ التّنكيرِ في ﴿نَارًا﴾:

التّعظيمُ والتّفخيم، لشِدّةِ العَذابِ الأليم

نكّرَ النّظمُ الكريمُ لفظَ ﴿نَارًا﴾ في قولِه تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾؛ للدّلالة على التّفخيم والتّعظيم، قال بعضُهم: "والتّنوينُ في ﴿نَارًا﴾ للتّعظيم، أي: نارًا عظيمةً ذاتَ اشتعالٍ وشرَرٍ وتوقُّدٍ، وهي نارُ جهنّم"[4]؛ ذلك التّعظيمُ المُتأتّي من الإبهام في التّنكيرِ المتناسقِ معَ الإبهامِ في ﴿وَمَا كَسَبَ﴾، الدّالِّ في أحدِ معانيهِ على عداوةٍ

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 16/ 622.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 605.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 814.
(4) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 10/ 2046.

مُبهمةٍ للنّبيِّ ﷺ؛ لشِدّةِ غرابتِها وعظيمِ إيذائِها، فكانت عقوبتُهُ بنارٍ مُبهمةٍ.

نُكْتَةُ الموقعِ الإعرابيِّ ﴿نَارًا﴾:

تحوُّلُ المكان إلى ذاتٍ يَصلاها ذو البُهتان

أوقعَ النّظمُ الكريمُ ﴿نَارًا﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا﴾ مَنصوبةً بنزعِ الخافضِ، والتّقدير: (سيَصْلى في نارٍ أوْ بنارٍ)، والغرضُ من العدولِ المُبالغة في تصويرِ مشهَدِ الصّلْيِ، فكأنَّه لا يُشْوَى في النّار أوْ بها، بل يَصْلَى النّارَ عينَها، ففي جَعْلِ الظّرفِ أو الآلة عينَ الصّلْي دلالةٌ على أنَّ المكانَ كلَّه تحوّل إلى نارٍ، وأنَّ الآلةَ في الصَّلْي صارتْ عينَ المَصْليِّ.

دلالةُ المَوقعِ الإعرابيِّ لـ﴿ذَاتَ﴾:

كَمالُ المُناسبة، بينَ كُنيتِهِ وحقيقةِ النّارِ اللّاهِبة

نعتَ النّظمُ الكريمُ لفظَ (نار) بلفظ ﴿ذَاتَ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾؛ للدّلالةِ على أنَّها نارٌ عظيمةٌ شديدةُ الاشتعال، ومن شدّةِ اشتعالِها يَعلوها لهَبٌ عظيمٌ، ويتطايرُ منها شرَرٌ مُخيف، قال ابن عاشور: "وَوَصْفُ النّارِ بـ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾ لِزيادَةِ تَقْريرِ المُناسَبَةِ بَيْنَ اسْمِهِ وبَيْنَ [عاقبة] كُفْرِهِ؛ إذْ هوَ أبو لَهَبٍ والنّارُ ذاتُ لَهَبٍ، وفي وصْفِ (النّارِ) بذَلِكَ زيادَةُ كشفٍ لحقيقة النّارِ، وهو مِثلُ التَّأْكيد"[1].

سرُّ العدولِ عن النَّعت بـ(لاهِبة):

أبو لهَب، يَدخُلُ نارًا تَملِكُ اللهب

عدلَ النّظمُ الكريمُ عن النّعت بـ(لاهِبة) إلى ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾؛ للدّلالةِ على المُبالغة، فهي تملكُ اللهب وصاحبتُهُ؛ كالفرقِ بينَ قولنا: (زيدٌ عالمٌ وزيدٌ ذو عِلْم)؛ فكأنّ حقيقةَ العِلْم وذاتَه يَصحبُهُ، والعلمُ كلُّهُ صارَ مملوكًا له، بخلاف كونِهِ عالِمًا فإنّه يدلُّ على حصّةٍ قد نالَها من العلم كباقي العُلَماء؛ فهي ليستْ نارًا لاهبةً بل هي ذاتُ اللهبِ وصاحبتُهُ؛ فهي أصلٌ لكلِّ نارٍ لاهِبة.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 605.

نُكاتُ الإضافةِ في ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾:

مِن شدّةِ النّار، أُضيفَ إليها ما يُـضـافُ لـذَوي الأفكار

أضافَ النّظمُ الكريمُ لفظَ ﴿ذَاتَ﴾ إلى ﴿لَهَبٍ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾؛ للدّلالة على الإسنادِ الإضافيِّ المجازيّ؛ إذِ النّارُ ليست ذاتَ لهبٍ، بلْ يَعلوها اللهب، وإنّما جعلَها صاحبةَ لهَب؛ للدّلالة على المُبالغة في شدّة النّار، حتّى إنّها تعقِلُ وتملِكُ، وتكونُ الإضافةُ دَليلًا على الاستعارةِ المَكنيَّة القائمةِ على تشبيهِ النّار بالعُقلاء، ويحتمل أن تكون الإضافةُ لتحقيق: "الجناسِ التّامِّ بينَ ﴿أَبِي لَهَبٍ﴾ وبينَ ﴿نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾، فالأوّلُ كُنيةٌ، والثّاني وصفٌ للنّار"[1].

دلالةُ (الكِناية) في الآية:

مِـن لَـوازِمِ الجَهنّميَّة، عدمُ الإيمان بالرِّسالةِ الإسلاميَّة

كنَّى النّظمُ القرآنيُّ في قولِهِ تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ عن كون أبي لهَبٍ لا يُسلِمُ؛ لأنَّ الإخبارَ في حالِ حياتِهِ بأنَّه من أهل النّارِ يَستلزمُ عدمَ إسلامِه وإيمانِهِ، وقد حصلَ ذلك فعلًا فماتَ على الكُفر، وإليهِ يَرمُزُ الدُّعاء بالتّبِّ، والإخبارُ عن وقوعِ ذلك التّبِّ وتحقُّقِهِ في: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، فكانتِ الكنايةُ علَمًا على صِدقِ النّبوَّة والرِّسالة الإسلاميَّة. قالَ ابنُ عاشور: "ونَزَلَ هَذا القُرْآنُ في حَياةِ أبي لَهَبٍ، وقَدْ ماتَ بَعْدَ ذَلِكَ كافِرًا، فكانَتْ هَذِهِ الآيَةُ إعْلامًا بأنَّهُ لا يُسْلِمُ، وكانَتْ من دَلائِلِ النّبوءة"[2].

دلالةُ التّنكيرِ في ﴿لَهَبٍ﴾:

تعظيمُ اللهب، تعظيمٌ للنّار ذاتِ النّصَب

نكّرَ النّظمُ الكريمُ المضافَ إليه ﴿لَهَبٍ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾؛ للدّلالة على التّعظيم والتّفخيم لذلك اللهب المُتطايرِ والشّرر المُتعاظِم، وبذلك يَزدادُ التّعظيمُ للنّارِ الموصوفةِ الّتي يَصلاها أبو لهَب.

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 432.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 605.

دلالةُ (الواو)، والغرضُ منها:

المُـشـاركـةُ في الإيـذاء، سببٌ لـلاشـتراكِ في الإضلاء

عطفَ النّظمُ الكريمُ بـ(الواو) قولَهُ تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ عطفَ مفردٍ على مفردٍ؛ وذلك للدّلالة على المُشاركةِ في الحُكم بينَ أبي لهَبٍ وامرأتِهِ، وهو الصَّلْيُ في نارٍ ذاتِ لهَبٍ، فلفظُ (امرأتُهُ) معطوفٌ على الضَّمير المُستترِ لوجودِ الفصلِ بالمفعولِ به بينَ المُتعاطفَين، فساغَ العطفُ على المُستتر مِن دونِ توكيدِهِ، وسببُ المشاركةِ في الحُكم أنَّها كانتْ تُشاركُهُ في إيذاءِ النّبيِّ ﷺ[1]، قال الرّازيّ: "(امْرَأَتُهُ) إنْ رَفَعْتَهُ ففيهِ وجْهانِ؛ أحَدُهُما: العَطْفُ عَلَى الضَّميرِ في سَيَصْلى، أي: سَيَصلى هو وامرأتُهُ، و﴿فِي جِيدِهَا﴾ في مَوْضِعِ الحالِ، والثّاني: الرَّفْعُ عَلَى الابْتِداءِ، و﴿فِي جِيدِهَا﴾ الخَبَرُ"[2].

ويحتملُ أنْ تكونَ (الواو) للحال، والمعنى: سيصلى أبو لهَبٍ والحالُ أنَّ امرأتَهُ حمالةُ الحَطَبِ[3]. كما يحتملُ أنْ يكونَ من عطفِ الجُملة على الجُملة؛ للدّلالة على استقلالِ كلٍّ من الجُملتين عن الأُخرى، فزَوْجُها في نارٍ ذاتِ لهب، وهي حمالةُ الحطَب في جيدِها حبلٌ مِن مَسَد.

نُكْتةُ الإضافةِ في (امرأتُهُ):

النِّـسـبـةُ إلى الجهنّميّ، تدلُّ عـلى الـخُـسـرانِ الأبَدِيِّ

أضافَ النّظمُ الكريمُ لفظَ (المرأة) إلى ضميرِ الغَيبة العائدِ إلى ﴿أَبِي لَهَبٍ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾؛ للدّلالة على التّعيينِ والتّعريفِ لتلك المرأةِ، بحيثُ تمتازُ عمّا عَداها، والغرضُ من الإضافةِ: بيانُ أنَّها ملازمةٌ للنّار؛ إذ إضافتُها لمُلازمِ النّار الدّالِّ بالكناية على أنَّه جهنّميٌّ، ما يفيدُ أنَّها لن تُسلمَ، وأنَّها مُشاركةٌ له في الصَّلْي، فتكونُ جهنّميَّةً مُلازمةً للنّار مُلازمتَهُ لها.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 605.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 354.
(3) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 16/ 630.

سرُّ التّعبيرِ بـ﴿حَمَّالَةَ﴾ مادّةً وصيغةً:

العُقوبةُ في النّار، مُجانِسةٌ لعَمَلِها في هذهِ الدّار

عبّرَ النّظمُ الكريمُ بلفظِ ﴿حَمَّالَةَ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾؛ للدّلالةِ بصيغتِهِ المَوضوعة للمُبالغة على كثرةِ الحَمْل للحَطَب، وإلقائِهِ في طريقِ النّبيِّ ﷺ، ممّا يَدلُّ على فرْط كراهتِها وبُغضِها له وللإسلام، وليَدُلَّ بمادّتِه على رفعِ شيءٍ ثقيلٍ على عاتقِها، والسّيرِ بهِ من أجلِ الإيذاء، وذلك منافٍ لمَكانتها الاجتماعيَّةِ الكبيرة، لكنَّها كانت تَعتمِلُه وتتعمّدُه إظهارًا لذلك البُغض، وهذا في حالِ الدُّنيا، وأمّا عندَ الصّلْي بالنّارِ فإنَّها تحملُ الحطبَ على سبيلِ المُبالغة وتُلقيهِ ليَحترقَ به زوجُها الَّذي كان مُتواطِئًا معها، فهي في جهنَّم على حالِها في الدُّنيا من الكدِّ والتّعَب.

نُكْتَةُ الإضافةِ في ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾:

التّعيينُ واستحضارُ الحال، كاشِفانِ عن حَقيقةِ المآل

أضافَ النّظمُ الكريمُ لفظَ ﴿حَمَّالَةَ﴾ إلى ﴿ٱلۡحَطَبِ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾؛ للدّلالة بها إمّا على التّعيينِ والتّعريف إنْ كان ﴿حَمَّالَةَ﴾ بمعنى الماضي، فيُفيدُ المضافُ من المضافِ إليه تعريفًا؛ لما تحملُهُ اللّفظة من الدّلالة على الإيذاءِ والبُغض للدَّعوة وصاحبِها ﷺ، وإمّا على مُجرّدِ التّخفيفِ إنْ كان ﴿حَمَّالَةَ﴾ بمعنى المستقبل، فيكونُ نكرةً، والغرضُ من التّعبير عنها بلفظِ الحالِ استحضارُ الحالِ المستقبلةِ لتصويرِ مدى فظاعةِ حالِها في النّار ووظيفتِها في تلك الدّار.

الدّلالةُ اللّقبيّة لـ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾:

التّركيبُ الإضافيُّ دالٌّ على مَعنًى كنائيّ

يحتملُ التّركيبُ الإضافيُّ ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ الدّلالةَ على المعنى اللّقبيِّ المُشاكِلِ للدّلالة اللّقبيَّة لـ﴿أَبِي لَهَبٍ﴾؛ إذ يُشعِرُ كلا اللّقبَينِ أنَّهما من أهل النّار، قال ابنُ عاشور: "فَلَمّا حَصَلَ لِـ﴿أَبِي لَهَبٍ﴾ وعيدٌ مُقْتَبَسٌ مِنْ كُنْيَتِهِ، جُعِلَ لِامْرَأتِهِ وعيدٌ مُقْتَبَسٌ لَفْظُهُ مِنْ فِعْلِها، وهوَ حَمْلُ الحَطَبِ في الدُّنْيا،

فأُنْذِرَتْ بأنَّها تَحْمِلُ الحَطَبَ في جَهَنَّمَ ليوقَدَ بهِ عَلَى زَوْجِها، وذَلِكَ خِزْيٌ لَها ولِزَوْجِها؛ إذْ جَعَلَ شِدَّةَ عَذابِهِ عَلَى يَدِ أحَبِّ النّاسِ إلَيْهِ، وجَعَلَها سَبَبًا لِعَذابِ أعَزِّ النّاسِ عَلَيْها"[1].

دلالةُ الاستعارةِ التّصريحيّة والتّبعيّة في (الحطبِ وحمّالة):

تقريبُ الأوزار، لتكونَ تحتَ محَلِّ الإبصار

شبّهَ النّظمُ الكريمُ (الأوزارَ) بالحَطَب في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾، ثمَّ حذفَ المشبَّهَ وأبقى المشبَّهَ به على سبيلِ (الاستعارة التّصريحيَّة)، والغرضُ من الاستعارة بيانُ أنّ عُقوبتَها من جنسِ عملِها، فهي في جهنّم تحملُ الأوزارَ الثّقيلةَ وتَصلى بالنّار، كما كانتْ تحملُ الحطبَ لتُؤذيَ به النّبيَّ ﷺ، قال القونويّ: "المُراد بالحطبِ الأوزارُ اسْتعارَةً؛ فإنّها تحملُ الأوزارَ، والحَملُ في تحمُّلِ الأوزار معنويٌّ مُشابِهٌ للحَمْلِ الحِسّيِّ، وهو حملُ الأثقالِ، فيكونُ اسْتعارَةً تبعيّةً، ولمّا كانتِ الأوزارُ مُشابهةً للحطَب في أنَّ كُلًّا منهما مبدأٌ للإحراقِ وسببٌ لهُ؛ فالحطبُ سببٌ توقَدُ به النّار في الدُّنْيا، والأوزارُ سببٌ توقَدُ بها نارُ الجَحيم؛ لأنَّ كونَ الإنْسان وقودَ النّار بسَبَب الآثام، فذكرَ اسمَ المشبّهِ به وأُريدَ المشبَّه"[2]، أو: "الحطبُ مُسْتَعارٌ للنّميمةِ؛ فإنّها توقِدُ نارَ الخُصومة إيقادًا معنويًّا؛ كما أنَّ الحطبَ يوقِدُ نارَ الدُّنْيا إيقادًا حسّيًّا؛ فالمُشبَّهُ معنويٌّ والمشبّهُ به حِسّيٌّ"[3].

دلالةُ الاستعارةِ التّمثيليَّة في لَفظِ ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾:

إشعالُ العَداوة إيذاءٌ وحَماقة

يحتملُ لفظُ ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ الدّلالةَ على الحقيقةِ المعلومةِ من نقلِ الخشَب القابلِ للاحتراقِ، ويحتملُ استعارتَه للسّعْيِ في نقلِ الفتنة والنَّميمة[4]، فقد

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 605.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 20/ 486.
(3) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 20/ 486.
(4) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 11/ 146.

شبَّهَ الهَيئةَ المُنتزِعة من نقلِ الفتنِ والمَشي بالنَّميمة بغيةَ إذكاءِ الفِتَن وإيقاعِ العَداوة بينَ النّبيِّ ﷺ وبينَ قومِه بهيئةِ مَن يَحمِلُ الحطَبَ بغيةَ إيقادِ النّارِ عليه، ثمَّ حذفَ المشبَّهَ وأبقَى المشبَّهَ به على سبيلِ الاستعارةِ التّمثيليَّة، والغرضُ من الاستعارة بيانُ شنيعِ فعلِها من إيقادِ العَداوةِ والبَغضاء بغيةَ الإيذاءِ، والمرادُ: "تصويرُها بصورةِ الحطّابة الَّتي تحملُ الحُزمةَ وتَربِطُها في جيدها؛ تحقيرًا لحالِها؛ لتمتعِضَ من ذلك ويمتعِضَ بعلُها؛ إذا كانا في منصِبِ الثَّروة والجاه، ولقد أغضَبَها ذلك"[1].

تعدُّد القراءاتِ والتّوجيهاتِ في ﴿حَمَّالَةَ﴾:

قُرِئَتْ ﴿حَمَّالَةَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ بقراءتين؛ هما:

قراءاتُ المَعاني والدّلالات، بتعدُّدِ التّوجيهات

الأولى: الرّفعُ: ﴿حَمَّالَةُ﴾؛ وهي قراءةُ الجمهور، وتحتملُ توجيهاتٍ متعدِّدة؛ أنّها خبرُ ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾؛ بناءً على أنَّ (الواو) استئنافٌ أوْ عطفُ جملةٍ على جُملة، قال السّمين الحلبيّ: "قراءةُ العامَّةِ بالرّفع على أنَّهما جملةٌ مِنْ مبتدأ وخبرٍ، سيْقَتْ للإخبار بذلك"[2]، وعليه: "﴿فِي جِيدِهَا﴾ في مَوضِعِ الحالِ، على تقدير: (تصلى هي النّارَ مُسلسَلًا)"[3]، والجملةُ الاسميّةُ تفيدُ الدّوامَ والثّبوت، بما يدلُّ على ذَمٍّ مُتواصِلٍ ودائمٍ وثابتٍ لتلك المرأة.

أو أنّها خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ، والتّقديرُ: هي حمّالةُ الحطب[4]؛ وذلك مبنيٌّ على أنَّ ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ معطوفةٌ على الضَّمير المُستتر، ثمَّ يُستأنَفُ الكلام استئنافًا بيانيًّا، جوابًا عن سُؤالٍ مُفادُهُ: وما شأنُها تَصْلَى مع زوجِها؟ فأجابَ: (هي حمّالةُ الحطَب).

(1) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 10/ 2046.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 11/ 145.
(3) الواحدي، التفسير البسيط: 24/ 416.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 567.

أو أنّها نعتُ (امرأته) بناءً على أنَّها معطوفةٌ على الضَّمير في ﴿سَيَصْلَىٰ﴾، و"﴿فِي جِيدِهَا﴾ خبرُ المبتدأ"[1]، قال ابنُ عاشور: "فَيُحْتَمَلُ أنَّها صِفَتُها في جَهَنَّم، ويُحْتَمَلُ أنَّها صِفَتُها الَّتي كانَتْ تَعْمَلُ في الدُّنْيا بجَلْبِ حَطَبِ العِضاهِ لِتَضَعَهُ في طَرِيقِ النَّبيءِ ﷺ عَلَى طَرِيقَةِ التَّوْجيهِ والإيماءِ إلَى تَعْليلِ تَعْذيبِها بذَلِكَ"[2].

أو أنّها عطفُ بيانٍ أوْ بدلٌ من (امرأته)؛ بناءً على أنَّه لقبٌ[3]، والمعنى اللّقبيُّ مُشعِرٌ بطريقِ الكِناية أنَّها لن تُسلِمَ وأنَّها من أهلِ النّار.

الثانية: النَّصْبُ، وهي قراءةُ عاصمٍ الكوفيّ، ويَحتملُ توجيهين إعرابيّين؛ إمّا حالٌ مِنَ ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾، وفيهِ مِنَ التَّوْجيهِ والإيماءِ ما في قِراءَةِ الرَّفْعِ[4]، لكنَّ توجيهَ الحاليَّة يتمُّ على جعلِ الإضافة بمعنى (الحال والاستقبال)؛ حتّى تكونَ الإضافةُ لمجرَّدِ التخفيف، ويكونَ الحال نكرةً كما هو الأصلُ فيهِ[5].

أو أنّها منصوبةٌ على الذّمِّ والشَّتم[6].

دلالةُ التّعريفِ بـ(أل) في ﴿ٱلْحَطَبِ﴾:

التّعريفُ بالعَهْدِ الذِّهنيّ، بمَنزلةِ التّنكيرِ عندَ البيانيّ

عرّف النّظمُ الكريمُ لفظَ ﴿ٱلْحَطَبِ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾؛ للدّلالة به على العهدِ الذّهنيِّ البيانيِّ الصّادقِ ببعضٍ منهُ، فيكون بمنزلةِ النَّكرة، سواءٌ كان الحطبُ بمعناه المعروفِ الَّذي توقَدُ به النّارُ، أوْ كانَ بمَعنى الأوزارِ والنَّميمة. والغرضُ منَ التّعريفِ حينَئذٍ الإشارةُ إلى أنَّ ذلك الحطبَ والوزرَ والنَّميمة من نوعٍ خاصٍّ يتميّزُ عن غيره ممّا يُعرَفُ.

(1) الواحديّ، التّفسير البسيط: 24/ 416.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 606.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 567.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 606.
(5) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 11/ 145.
(6) الواحديّ، التّفسير البسيط: 24/ 416، والقونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 20/ 487، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 425.

نُكْتَةُ اختيارِ اللّقبينِ ﴿أَبِي لَهَبٍ﴾ و﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾:

كيلُ الدَّسائسِ والفِتن، أوقعَتْ أبا لهَبٍ في شرِّ المِحَن

اختارَ النّظمُ الكريمُ لقبًا لـ(عبد العُزّى) وهو (أبو لهَب) في قولِهِ تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾، ولقبًا لزوجِهِ (أمِّ جميل) وهو ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ في قوله: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾؛ ليكونَ كلُّ لقبٍ مُناسبًا لوظيفتِهِ، ومحقِّقًا لمَقصده؛ إذ شأنُ المرأةِ الشّرّيرة أنْ تجمَعَ الحطَبَ وتُكثِرَ من الفتن، حتّى يُصبِحَ جاهزًا للاتّقاد، فيتحوّلُ بيدَي زَوجها إلى لهَب، وبذلك نستدلُّ على أنَّ (عبد العزّى) وقعَ أسيرًا بيدِ زوجِهِ الَّتي كانت تُدبِّرُ الدّسائسَ وتجمَعُ الفتنَ، وتجعلُ قلبَ زوجِها حاقدًا ومُبغِضًا، ولذا عبّر عنها بلفظِ ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ دونَ (زوجِهِ)؛ لأنَّها أوقعَتْهُ في شَرَك فِتَنِها ولم تَنصَحْهُ بما هو خيرٌ له في دُنياهُ وآخِرتِهِ.

نُكْتَةُ فصْلِ ﴿فِي جِيدِهَا﴾:

استكمالُ صورةِ الحَمْل بتحديدِ نوعِ الحَبل

فصلَ النّظمُ الكريمُ الجملةَ الاسميَّةَ في قولِهِ تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ عمّا قبلَها من الجملةِ الاسميّة: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾؛ لكونِها بيانًا تفصيليًّا لحالِ حمّالة الأوزار وهي تَصلَى في النّار، مُحاكيةً لحَمْلِ الحطَبِ في الدُّنيا، بلَفِّ الحَبلِ في العُنُق بغيةَ حَملِهِ، فإنَّها تضَعُ الأوزارَ على ظَهرها، وتحيطُ عُنُقَها في جهنَّم بحبلٍ من مَسَد؛ فيكونُ البيانُ ترشيحًا للاستعارةِ، وأنَّ الحطبَ هو الأوزارُ، والحبلُ الَّذي يشدُّه من نارٍ مَلفوفًا حولَ العُنُق، قال القونويّ: "﴿فِي جِيدِهَا﴾ تَرْشيحٌ للاسْتعارَة؛ إذِ الحطَبُ اسْتعارَةٌ للأوزارِ أوْ للنّميمة، والتَرْشيحُ ما يُلائم المُسْتَعارَ منهُ، وكونُ الحبلِ في الجيدِ والعنُقِ من خواصِّ الحطبِ الحقيقيِّ"[1]، وهذا مبنيٌّ على أنَّها جملةٌ مستقلّةٌ عمّا قبلَها، أمّا لو كانت حالًا أوْ خبرًا على أحدِ الاحتمالاتِ المتقدِّمة فإنَّها مفردةٌ لا جملةٌ مفصولةٌ حينَئذٍ؛ لأنَّ ما لهُ محلٌّ من الإعراب بمنزلةِ المفردِ ممّا قبلَهُ.

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 20/ 488.

دلالةُ المَوقِعِ الإعرابيِّ لـ﴿فِي جِيدِهَا﴾:

تعـدُّدُ الأحـوال والـصِّـفـات يُـقـرِّبُ الـذّواتِ والهَيئات

تحتملُ الجملةُ في قولِهِ تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أنْ تكونَ بمنزلةِ عطفِ البيان ممّا قبلَها، فتكونُ مفصولةً عمّا قبلها للبيانِ واستكمالِ صورتها في النّار، ويحتملُ أنْ تكونَ جملةً لها محلٌّ من الإعراب بمَنزلةِ المفردِ المُرتبِطِ بما قبلَها؛ فإنْ كانتْ ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ نَعْتًا أوْ حالًا، فإنّ ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ "صِفَةٌ ثانيَةٌ أوْ حالٌ ثانيَةٌ، وذَلِكَ إخْبارٌ بما تُعامَلُ بِهِ في الآخِرَة، أي: جُعِلَ لَها حَبْلٌ في عُنُقِها تَحْمِلُ فيهِ الحَطَبَ في جَهَنَّمَ؛ لِإسْعارِ النّارِ عَلَى زَوْجِها؛ جَزاءً مُماثِلًا لِعَمَلِها في الدُّنْيا الَّذي أغْضَبَ اللّه تعالى عَلَيْها"[1].

دلالةُ الاستعارةِ في حرفِ الجرّ ﴿فِي﴾:

مِـن شـدّةِ الاسـتـعـلاء امتـزجَ بالعُنُق فصارَ لهُ وِعاء

عبّرَ النّظمُ الكريمُ بحرفِ الجرِّ ﴿فِي﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾؛ للدّلالة على الظّرفيَّة المَجازيَّة؛ إذ شبّهَ النّظمُ الاستعلاءَ على الشّيءِ بالحُصولِ فيه، ثمَّ استعارَ اللّفظَ الدّالَّ على الظّرفيَّة على طريقةِ التّبعيَّة؛ للمُبالغةِ في استعلائِهِ، حتَّى إنَّه صارَ داخِلَ عُنُقِها؛ تبشيعًا لمَنظرها في النّار، وبيانًا لكونِ الحبلِ النّاري صارَ داخِلًا في العُنُق دُخولًا مُؤْذيًا ومُؤلِمًا.

نُكْتَةُ العُدولِ عنِ (العُنُق) إلى (الجيد):

مَـحَـلُّ الجَـمال صـارَ مَـوضِـعًـا لسوءِ المآل

عدلَ النّظمُ الكريمُ عن لفظِ (العُنُق) إلى (الجيد) في قولِهِ تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾؛ للتّهكُّم بحالِها والإزراءِ بصورتها؛ إذِ العُنُقُ يُستعمَلُ في لفظِ الحُسن والقُبح، وأمّا (الجيدُ) فإنَّه يكونُ للجَمال في العُنُق الَّذي توضَعُ عليهِ القلائد، فعدلَ النّظمُ عن العُنُق إلى ذِكرِ لفظٍ يُشعِرُ بالجمالِ تهكُّمًا واستخفافًا بها؛ إذ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 606.

صارَ محلُّ الجمال مَربوطًا بحبلٍ من صوفٍ مَمسودٍ يؤولُ إلى نارٍ، فبدلًا من وضعِ القلائد عليه يوضعُ الحبلُ لتختنقَ وتتعذَّبَ به.

نُكْتَةُ الإضافةِ في ﴿جِيدِهَا﴾:

الـــرّبـــطُ والـتّـخـصـيـص يُفيدانِ التّهكُّمَ والتّخسيس

أضافَ النّظمُ الكريمُ لفظ (الجيد) إلى ضميرِ الغَيبة الرّاجع إلى ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ في قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾؛ لربطِ جملةِ الحالِ أوِ الوصفِ أوِ البيانِ بها، والغرضُ من الرّبط ترشيحُ الاستعارةِ في ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ الدّالةّ على تصويرِ حملِ الأوزار بصورةِ حَمْلِ الحَطَب، وأفادتِ الإضافةُ تشخيصَ الجيد وتخصيصَه بها؛ ليكون أدعى للتّهكُّم والاستهجانِ لأفعالها الشَّنيعة، قال الهرريُّ: "والمعنى: في عُنُقِها حبلٌ ممّا مُسِّدَ وفُتِلَ منَ الحِبال، وأنَّها تَحملُ تلك الحُزمةَ منَ الشّوْكِ وتَربطُها في جيدِها كما يفعَلُ الحطّابونَ؛ تخسيسًا لحالِها، وتَصويرًا لها بصورةِ بعضِ الحطّابات من المَواهِنِ لتغضَبَ من ذلك"[1].

دلالةُ تقديمِ شبه الجملة ﴿فِي جِيدِهَا﴾:

التّـشـويـقُ والاهـتـمـام، بتقديمِ بعضِ مُكوِّناتِ الكَلام

قدّمَ النّظمُ الكريمُ الجارَّ والمجرورَ المُتعلِّقَ بالخبرِ المَحذوفِ على المُسندِ إليه في قولِه تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾؛ للدّلالة على الاهتمام بذِكرِ المحلِّ للحبلِ، والتّشويقِ لسماعِ ما يكونُ في جيْدِها ممّا يولِّدُ المفارقةَ والاستغراب؛ لأنَّ حملَها للحَطَبِ يُنبئ عن كونهِ حَبْلًا قويًّا ومُحكَمًا، لكنّه إنْ كان حَمْلًا للأوزارِ والخطايا فإنَّه لا تُعْرَف طبيعةُ ذلك الحبلِ عند العذاب، فشَوّقَ لمعرفتِهِ بذِكرِ المسندِ إليهِ مُتأخِّرًا، كما أنَّ حَمْلَ الأوزارِ يَستدعي الاهتمامَ بذِكرِ محَلِّ ربطِ حبالِ ذلك الأمرِ المَحمول، قال ابنُ عاشور: "وقُدِّمَ الخَبَرُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فِي جِيدِهَا﴾ لِلاهْتِمامِ بوَصْفِ تِلْكَ الحالَةِ الفَظيعَةِ الَّتي عوِّضَتْ فيها بحَبْلٍ في جيدِها، عَنِ العِقْدِ الَّذي كانَتْ تُحَلّي بِهِ جيدَها في

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 426.

الدُّنْيا فتربط بهِ؛ إذْ قد كانَتْ هيَ وزَوْجُها مِنْ أهْلِ الثَّراءِ، وسادَةِ أهْلِ البَطْحاءِ"[1].

دلالةُ التّنكيرِ في ﴿حَبْلٌ﴾:

الحِبال في النّار لا تتعرَّضُ للاضمِحلال

نكّرَ النّظمُ الكريمُ لفظَ ﴿حَبْلٌ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾؛ للدّلالة على النّوعيَّة؛ إذ الحَبلُ في النّار يتعرَّض للاحتراق والزّوال، لكنَّ هذا الحبلَ نوعٌ خاصٌّ لا يَفنى ولا يَشتعِلُ إلّا بعُنُق من التَفَّ حولَ رقبتِهِ.

دلالةُ الاستعارةِ التّصريحيَّة في ﴿حَبْلٌ﴾:

تعليلُ وضْعِ الأغلال، بما كانتْ تُقدِمُ عليهِ مِن أعمال

يحتملُ النّظمُ الكريمُ أنْ يكون قدِ استعارَ الحبلَ للسِّلسلة والأغلالِ في قولِهِ تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾؛ أي: سلسلةٌ وأغلالٌ توضَعُ في عنُقِها لتُجَرَّ بها[2]، ثمَّ حذفَ المشبَّهَ وأبقى المشبَّهَ به على سبيلِ الاستعارة التّصريحيَّةِ الأصليَّة، والغرضُ من الاستعارةِ: تقريبُ الصّورة ومُحاكاةُ فعلِها الأثيم في شدِّ الأشواك برباطٍ وحبلٍ مُحكَم؛ لتضعَهُ في طريقِ النّبيِّ ﷺ، فيكون عذابُها من جنسِ فعلِها، وفيه إشارةٌ إلى تعليلِ وضعِ الأغلال بما كانتْ تُقدِمُ عليه من أعمال.

الدّلالةُ الإيحائيَّة للَفظِ ﴿حَبْلٌ﴾:

تقييدُ الدّوابّ والمَساجين بالحِبال لئلّا يَهرُبوا من سوءِ المآل

عبّرَ النّظم الكريمُ بلفظِ ﴿حَبْلٌ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾؛ للدّلالة على التّحقيرِ والتّشنيع؛ إذ الجيدُ يُحَلَّى بالقلائد والزّينة، وأمّا لفظةُ (الحبل) فتوحي بالجَرِّ والسَّحب، لأنَّها أداةُ تقييدِ الدوابِّ والمساجين كيلا يَهرُبوا، ولِجَرِّهم من مكانٍ إلى آخر، فيكون لفظُ (الحبل) إهانةً على الجيدِ[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 607.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 20/ 488.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 607.

دلالةُ الموقِعِ الإعرابيّ لـ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ﴾:

ثـبـوتُ الإهـانـة لـدوامِ الإيـذاءِ والعَداوة

أوقعَ النّظمُ الكريمُ الجملةَ الاسميَّة في قولِهِ تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ﴾ في موقعٍ يحتمِلُ أوجُهًا مُتعدِّدة، فيحتملُ أنْ يكون ﴿فِي جِيدِهَا﴾ خبرًا مقدَّمًا، و﴿حَبْلٌ﴾ مبتدأً مؤخّرًا، والجملةُ الاسميّة دالّةٌ على الثّبوت والدّوام لتلك الصّورة المُهينة؛ لما صدرَ منها من عَداوةٍ مُستمرّة، ومحلُّ الجملة حالٌ أوْ خبرٌ ثانٍ أوْ عطفُ بيان.

كما يحتملُ أنْ يكون ﴿فِي جِيدِهَا﴾ خبرًا ثانيًا لـ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾، وأمّا ﴿حَبۡلٌ﴾ فهو فاعلٌ بالظّرف، وفي حالِ أعربْنا ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ معطوفةً على الفاعلِ في ﴿سَيَصۡلَىٰ﴾ فإنَّ ﴿فِي جِيدِهَا﴾ حالٌ و﴿حَبۡلٌ﴾ فاعلٌ بالظّرف أيضًا[1].

دلالةُ ﴿مِّن﴾، والغرَضُ مِنها:

بـيـانُ الـحَـبـل المَـلـفـوف بـأنَّـه مـفـتـولٌ مـنَ الصّوف

عبّرَ النّظمُ الكريمُ بحرفِ الجرِّ ﴿مِّن﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿حَبۡلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾؛ للدّلالة على البيانِ والإيضاح؛ والغرضُ بيانُ طبيعةِ ذلك الحَبلِ، وأنَّه حبلٌ قويٌّ وشديدٌ ومفتولٌ ومُحكَم.

دلالةُ التّعبيرِ بصيغةِ ﴿مَّسَدٍ﴾:

الحبلُ المَمسود للجيد المُـؤذي للنّبيِّ المَحمود

عبّرَ النّظمُ الكريمُ بلفظِ ﴿مَّسَدٍ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿حَبۡلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾؛ للدّلالةِ به إمّا على المصدرِ بمعنى المفعولِ؛ للمُبالغة في الفتلِ والإحكام، قال الواحديّ: "المَسَدُ هو الفَتلُ، يقالُ: مسدَ الحبلَ يَمْسُدُهُ، إذا أجادَ فتلَهُ، ورجلٌ مَمسودٌ، إذا كان مجدولَ الخَلْق، وجاريةٌ مَمسودةٌ إذا كانتْ حسَنَةَ طيِّ الخَلْق"[2]، أوْ للدّلالة به على اسمِ الجنس، قالَ ابنُ عاشور: "والمَسَدُ: ليفٌ مِنْ ليفِ اليَمَنِ شَديدٌ، والحِبالُ الَّتي تُفْتَلُ مِنْهُ تَكونُ قَويَّةً وصُلْبَةً"[3].

(1) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 11/ 146.
(2) الواحديّ، التّفسير البسيط: 24/ 418.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 607.

دلالةُ التّنكيرِ في ﴿مَّسَدٍ﴾:

نكّرَ النّظمُ الكريمُ لفظَ ﴿مَّسَدٍ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾؛ للدّلالة على النّوعيَّة؛ إذ المَسَدُ واللّيف يحتملُ النّارَ فلا يحترقُ بها، بل يتحوّلُ إلى حبلٍ من نارٍ تتعذّبُ بهِ تلك المرأةُ المُؤذيةُ للنّبيّ ﷺ.

المَسَدُ لا يَحترِق بـلْ يُـؤثِّـرُ وبـهِ تَختنِق

دلالةُ المَوقِعِ الإعرابيّ في ﴿مِّن مَّسَدٍ﴾:

أوقعَ النّظمُ الكريمُ شبهَ الجُملة ﴿مِّن مَّسَدٍ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ مَوقِعَ النَّعت[1]؛ والغرضُ منَ التَّوصيفِ بيانُ حقيقةِ الحَبْل والكشفُ عن ماهيّته، وأنَّه من ليفٍ مفتولٍ أوْ صوفٍ مَمسودٍ، أوْ حديدٍ مَلْويٍّ، وكلُّ هذا الكشفِ والتّوضيح يَرسُمُ صورةً منَ الذّلِّ والهَوان.

الـذلُّ والـهَـوان لِمَن عادى النّبيَّ العَدنان

دلالةُ الاستعارةِ التّمثيليَّة ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ﴾:

يحتملُ النّظم الكريمُ في قوله: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أنْ يكونَ استعارةً تمثيليَّة؛ بأنْ شبّه هيئةَ عذابِها وصورتَه في النّار بصورةِ عنَتِها المُنتزعة من حالِها في الدُّنيا وطريقةِ إيذائِها، ثمَّ حذفَ المشبَّه وأبقَى المشبَّه به على سبيل الاستعارةِ التّمثيليَّة، والغرضُ منَ الاستعارة بيانُ أنَّ العقوبةَ من جنسِ العمَل[2].

تشبيهُ الهَيئات لتقريبِ الصّوَر والماهيّات

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التّبابُ والخُسرانُ والهَلاك:

التّبابُ: هو الاستمرارُ في الخُسرانِ، وُصولًا إلى الهلاك.

وأمّا الخسرانُ: فهو الهلاكُ أوْ مجرّدُ النُّقصان، فلا يصل إلى الهلاك أحيانًا، فالتّبابُ يشملُ معنى الخُسران، مع الاستمرارِ والتّأكيدِ على الهلاك، في حين أنَّ الخُسران مفهومُهُ أوسع.

الـتّـبـابُ أخـصُّ مـن الخُـسران، ونتيجةُ التّباب الهَلاك

(1) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 11/ 147.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 817.

وأمّا الهلاكُ: فهو الفناءُ والدّمار[1].

ولذا عبّرَ النّظمُ الكريمُ بلفظِ التّبابِ في قولِهِ تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾؛ لأنَّ أبا لهَب لم يَخسَرْ ليعودَ بعدَ الخُسرانِ كما كان، ولم يَهلِكْ في ساعتِهِ، بل خَسِرَ واستمرَّ في خُسرانِهِ، وُصولًا إلى الهَلاك.

(1) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 1/ 332.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والستون،
من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 68 ، 828 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-42-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 68 : المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-42-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7916426 بتاريخ 2026/01/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"